

كتاب الأشربة

وذكر اختلاف الناس فيها

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

دراسة وتحقيق

الدكتور حسام البهنساوي

أستاذ علم اللغة المساعد

جامعة القاهرة

كلية الدراسات العربية والإسلامية بالفيوم

تقديم

الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب

العميد السابق لكلية الآداب

جامعة عين شمس

الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد

ت: ٣٩٢٩١٩٢ القاهرة

تقديم

ابن قتيبة الدينوري (المتوفي سنة ٢٧٦هـ) واحد من أشهر علمائنا القدامى ، وتآليفه متعددة الجوانب ، تشمل الكثير من فنون المعرفة العربية ؛ فمما وصل إلينا من مؤلفاته في علوم القرآن : " تأويل مشكل القرآن " و "تفسير غريب القرآن" . وفي الحديث الشريف : "تأويل مختلف الحديث" . وفي الأدب : "عيون الأخبار" و "المعارف" . وفي اللغة وعلم الرسم : "أدب الكاتب" . وفي الشعر : "الشعر والشعراء" و " المعاني الكبير" . وفي النحو : "تلقين المتعلم في النحو" .

ومن الكتب التي وصلت إلينا كذلك ، هذا الكتاب المهم في "الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها " ، الذي نقدم له هنا . وهو كتاب في اللغة والفقه الإسلامي ، في موضوع اختلف فقهاء الإسلام حول تحريمه وتحليله ، وهو موضوع الخمر والمسكرات . وقد ذكر ابن قتيبة أن الناس اختلفوا في الأشربة ، وكيفية ما يحل منها وما يحرم ، اختلافاً كبيراً . وقد ضمن هذه المقدمة تعريفات للخمر ، والخل ، والنبيد ، وماء العنب ، وماء التمر ، وغير ذلك .

ثم شرع ابن قتيبة في عرض حجج المحرّمين لجميع ما أسكر ، من القرآن والحديث ، وفعل بعض صحابة رسول الله ﷺ ، قبل أن تحرم الخمر بالنصوص ؛ كأبي بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، والعباس بن مرداس ، وعثمان بن مظعون . وضرب أمثلة كثيرة لمن فصّحه شرّب الخمر ، وذكر كثيراً من الأشعار في ذلك . وشرع بعد ذلك في عرض حجج اخلّلين لما دون السُّكر ، وذكر في ذلك حكايات وأشعاراً لمن كان ينادي بحل شرب النبيل ، إذا لم يصل إلى حدّ السُّكر ، وذلك بأن يشرب منه القليل عقب الطعام .

ثم أخذ يوضح غلط الفرق بالغلو . وخلص بعد هذا كله إلى رأيه الخاص ، الذي جعل عنوانه : " عدل القول في الشراب " ، وذهب فيه إلى تحريم الخمر بالكتاب ، وتحريم المسكر بالسنة ، وكراهة ما أفت وأخدر من الأشربة تأديباً ، وقد

(د)

أيد رأيه هذا بالنصوص المختلفة من القرآن والحديث ، وغير ذلك . وبهذا ينتهي هذا الكتاب القيم .

أما محقق الكتاب ، فهو تلميذي النجيب ، وأخي الحبيب الأستاذ الدكتور حسام البهنساوي ، وهو أحد القلائل الذين درسوا النظريات اللغوية الحديثة ، دراسة جيدة ، وأفاد منها ؛ فقد خصص دراسته للماجستير والدكتوراه ، في تطبيق النظرية التوليدية التحويلية ، على نصوص اللهجات العربية الحديثة في مصر . ثم واصل عمله في هذا الميدان ، فدرس ديوان " حاتم الطائي " دراسة تحويلية ، كما صنع الكثير من البحوث الجادة في هذا المضمار .

وفي السنوات الأخيرة ، اتجهت همته إلى إحياء النصوص العربية ، بعد أن درس على يدي شيئاً من قواعد هذا الفن ، وقرأ كتابي : " مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين " . وكانت باكورة إنتاجه في هذا الاتجاه ، تحقيقه لشرح " ثعلب " على قصيدة " عمارة بن عقيل " لينشر مع غيره في الكتاب التذكاري لشيخ المدرسة الرمضانية ، بمناسبة بلوغه سن المعاش .

ويأتي هذا الكتاب " الأشربة " لابن قتيبة ، بعد أن نضج هذا الاتجاه لدى صاحبه ، فحقق نص الكتاب تحقيقاً جيداً على المنهج العلمي الصارم لتحقيق النصوص ، وقدم له بمقدمة ضافية ، أضاءت النص إضاءات مثمرة .

وإنه على الرغم من صدور نشرات أخرى للكتاب من قبل ؛ فإن تحقيق هذا الكتاب على يد الدكتور حسام البهنساوي ، يشهد ببراعة المحقق ، ويدمج النشرات السابقة بالتعجل والإهمال .

ولا غلغ في النهاية إلا الدعاء الخالص لوجه الله تعالى ، أن يحفظ أخي الدكتور حسام البهنساوي ، ويرزقه الصحة والسعادة ، وينفع بعلمه ، إنه سميع مجيب الدعاء،،،

بقلم الدكتور رمضان عبد التواب

العميد السابق لكلية الآداب / جامعة عين شمس

المقدمة

يُعدُّ كتاب " الأشربة " لابن قتيبة الدينوري ، واحداً من المؤلفات الجديرة بالاهتمام ، فهو طراز من التأليف الفريد في بابهِ ، حيث يجمع فيه ابن قتيبة بين أوال الفقهاء واختلاف آرائهم في الأشربة ، وما استندوا إليه من أدلة منقولة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وأدلة معقولة ؛ تعتمد على إعمال الفكر والعقل بالقياس وغيره . كما ضمنه عديداً من النماذج والصور المختلفة ؛ التي تمثل أحوال الناس مع الأشربة ، سواء أكانت هذه النماذج من الأنماط التي تساحت في الأشربة ، وراحت تسوغ لنفسها وتبرر لمسلكها وإقبالها على الشراب ، أم كانت هذه الأنواع والنماذج من المانعين لكل شراب ، درءاً للشبهة وسدّاً للذريعة.

لقد استطاع ابن قتيبة بأسلوبه الأدبي الرفيع ، وتعبيراته اللغوية المسبوكة أن يرسم لنا مجموعة من اللوحات المصورة يأتقان ، وقد أجاد الرجل اختيار الألوان والظلال المصاحبة لكل لوحة من لوحاته في هذا الأسلوب القصصي المتمتع لقارئه والمشوق لمعرفة أحداثه .

لقد أجاد ابن قتيبة في عرضه لأحداث هذا الكتاب ومباحثه ، حيث حشد لنا العديد من الآيات الشعرية ، ليستشهد بها على المواقف والأحداث التي يعرض لها ، وقد أتقن اختيار هذه الآيات ، وأحسن توظيفها في مواضعها .

ولا عجب أن يأتي كتاب " الأشربة " على هذا النحو من الجودة والإتقان في عرضه لهذا الموضوع ، فابن قتيبة عالم بأسرار اللغة وخفاياها وعالم بالفقه الإسلامي ، وما يتطلبه من إحاطة بعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وقدرة على النظر الثاقب بالقياس والاجتهاد ، في القضايا الدينية المختلفة ، سواء ما تعلق منها بأحوال الناس بينهم وبين خالقهم ، أم ما تعلق منها بين بعضهم وبعض .

ويتألف الكتاب من خمسة مباحث أساسية ، غير مقدمة ، يعرض فيها لأهمية

الموضوع والدواعي التي حفزته على تأليفه ، وأن الله سبحانه وتعالى ، قد أحلّ لنا من طيبات الرزق ، وحرّم علينا الخبائث ، وأنه سبحانه وتعالى حرّم علينا بكتابه الخمر ، وبالسنة الشريفة المسكر من الشراب .

المبحث الأول : الاختلاف في الأشربة :

ويؤكد ابن قتيبة في هذا المبحث أن اختلاف الناس في الأشربة ، من الأمور التي تعمق فيها الاختلاف عما سواها من شئون الناس وأحوالهم ، وفيما يحلّ لهم وما يحرم عليهم ، ومن ثم فقد عقد عزمه على تأليف هذا الكتاب .

المبحث الثاني : حجج المحرّمين لجميع ما أسكر :

ويقدم فيه ابن قتيبة حجج هذا الفريق من المحرّمين والممانعين لكل شراب أسكر كثيره ، كائناً ما كان ، ولو بلغ فرقاً ، فقليله كائناً ما كان ، ولو كان مثقال حبة من خردل ، حرام .

المبحث الثالث : حجج المحللين لما دون السكر :

ويذكر فيه ابن قتيبة أن هؤلاء يرون أن الخمر إنما حرّمت على صفتها وكيفيتها؛ التي أجمع الناس عليها ، وأن ما سوى ذلك كائناً ما كان ، فهو نبيذ ، ما دون السكر منه حلال .

وقد أفرد ابن قتيبة لهذا المبحث المساحة الكبرى من بين مباحثه الأخرى ، حيث تبلغ عدد صفحاته أكثر من ثلث الكتاب ، ولا غرو فالمبحث من أهم مباحث الموضوع ، وقد اختلفت آراء الفقهاء حول هذه المسألة وتباينت وجهات نظرهم . ومن ثم فقد أفسح ابن قتيبة المكان على هذا النحو ، ليقدم لنا العديد من الآراء والأقوال والأحداث والوقائع المختلفة .

المبحث الرابع : تبين غلط الفرق بالغللو :

يقدم فيه ابن قتيبة سبيل الحق على مقدار علمه وطاقته ، وأن المحرّمين على الكلية ، لم يفرقوا بين الخمر ونبيذ التمر ، وبين ما طبخ وما نُقع ، وبين ما اشتد وما

(ز)

سهل ، وأنهم بذلك قد اشتدوا في الحظر، وعابوا بذلك قوماً من الصحابة والتابعين وأئمة السلف المقتدى بهم في الدين ، وأن الخليلين قد أفرطوا - أيضاً - في الإطلاق كما أفرط المانعون في الحظر .

المبحث الخامس : عدل القول في الشراب :

ويقدم فيه ابن قتيبة رأيه الخاص ، ووجهة نظره في مسألة " الأشربة " وما يراه عدلاً من القول ؛ خارجاً عن الإفراط والتقصير ، ويلخص رأيه بالقول بتحريم الخمر بكتاب الله وبتحريم المسكر بالسنة النبوية الشريفة ، وكراهة ما أفرز وأخدر من الأشربة تأديباً .

وهو يرى أن الخمر أنواع ثلاثة :

١- نوع مجمع على تحريمه .

٢- نوع مختلف فيه .

٣- نوع ثالث ، وهو ما يفيد على مرور الأيام .

والكتاب على هذا النحو يستحق أن يقبل عليه الباحثون والدارسون تحقيقاً ودراسة وتعليقاً ، نظراً لأهمية محتوياته من قضايا ، تتعلق بحياة الناس وسلوكهم ، وما ينبغي أن يقبلوا عليه مطمئنين إلى أنه من طيبات ما أحل الله لهم من الطعام والشراب .

وإذا كان اختلاف الناس في زمان ابن قتيبة ، جعله يقدم على تأليف هذا الكتاب فإننا في زماننا هذا الذي نعيش فيه أشد اختلافاً ، وأكثر تشعباً وتبايناً ، فقد استحدثت أشربة عديدة ، كما أن التقدم العلمي في عصرنا ، وما يواكبه من ظهور مخترعات وتقنيات حديثة ، مكنت الإنسان من حفظ الأطعمة والأشربة لمدد زمنية طويلة بعيداً عن التلف والفساد أو التحول إلى الشدة والصلابة والتخمر وغيرها من الأحوال التي اشترطها العلماء في الخمر وصفاته .

إننا في حاجة ماسة إلى مثل هذه المؤلفات وغيرها ؛ التي تزيل كثيراً من هواجس الشك والارتباك في نفوس الناس وقلوبهم .. وينبغي على العلماء أن يقدموا

(ح)

الدراسات والتحليلات العلمية التي تبين للناس وجه الحق والعدل ، في مثل هذه الأمور المتعلقة بحياة الناس في مشاربهم وماكلهم .

من أجل هذا ، عقدت العزم على تحقيق هذا الكتاب الهام ، مع دراسة علمية ضافية ، تشتمل ترجمة للمؤلف ، إلى جانب إبراز قيمة الكتاب العلمية ، وما يتميز به عن غيره من المؤلفات ، وإلى أي حد كان ابن قتيبة موفقاً في عرضه لمحتويات هذا الكتاب .

ولم يكن تحقيق هذا الكتاب بالأمر اليسير ، فلم تتوفر لنا سوى نسخة خطية وحيدة حصلنا عليها من " دار الكتب المصرية برقم ١٦٦ مجاميع م ، مكتوبة بخط النسخ ، غير مضبوطة بالشكل إلا في القليل النادر . وكان عليّ أن أوثق النص توثيقاً دقيقاً ، فذهبت أبحث عما أشكل عليّ في كتب التراث العربي على اختلاف فنونها وصنوفها ، من معاجم ومصادر وأعلام ، ودواوين شعرية وغيرها ، إلى جانب الإفادة من مؤلفات ابن قتيبة الأخرى العديدة .

كما ألفت - أيضاً - من النسخة التي نشرها الأستاذ / محمد كرد علي ، لكتاب الأشربة التي اعتمد في نشرها على نسخة دار الكتب المصرية ، إلى جانب مخطوطة بغدادية ، لم يتيسر لنا الحصول عليها .

ولما كانت نشرة الأستاذ / محمد كرد علي ، مجرد نشر للكتاب ، مع بعض التصويبات التي ذكرها . فإن الكتاب على هذا النحو ما يزال بحاجة إلى تحقيقه تحقيقاً علمياً ، فثمة أخطاء عديدة في مواضع كثيرة من الكتاب ، تحتاج إلى إعادة تصويب وضبط ، استغرقت منا الوقت والجهد والصبر ، حتى استقام النص على هيئته التي ارتضيها ، ممثلة لكتاب " الأشربة " كما ألفها ابن قتيبة .

لقد بدأت في النهوض بهذا العمل في منتصف عام ١٩٩٣م بالقاهرة ، حيث فرغت من نسخه وتوزيعه في بطاقات وفق منهج التحقيق العلمي ، ثم أعزّت إلى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد بدولة باكستان ، وقمت خلال فترة وجودي بها بتوثيق النص والترجمة للأعلام ، والأماكن والشواهد الشعرية . وبعد مرور

(ط)

عامين ، شاءت إرادة الله أن استكمل إعارتي بالرياض بالمملكة العربية السعودية ، وأن يتم هذا العمل من دراسة وتعليقات وتعقيبات وغيرها .
لقد أفادني هذا التنقل والترحال كثيراً في الوقوف على صنوف متنوعة من التأليف وثقافات عديدة ، وأفكار ووجهات نظر ثرية ، مما كان له الأثر في إنجاز هذا العمل على هذا النحو ، الذي قصدنا به وجه الحق والخير للخلق .

وبعد ...

فإنني أتوجه إلى أستاذي العالم اخفق الجليل الأستاذ الدكتور / رمضان عبد التواب بعظيم شكري وتقديري . أن وجهني هذه الوجهة من الدرس العلمي ، وأن شمل العمل وصاحبه بالتوجيه المخلص والرأي السديد ، أدام الله عليه وعلى مدرسته الرمضانية كل الخير والصلاح .

وأرجو أن يكون هذا العمل قد حقق الغرض العلمي والفائدة المرجوة من إخراجه ، كما أرجو أن يكون هذا العمل حافزاً لعلمائنا ودارسينا ، كي يقبلوا على مثل هذه التأليف الهامة ؛ التي تبصر الناس والعباد ، بما أحل الله لهم من طيبات الرزق في زماننا ؛ الذي اختلطت فيه الطيبات بالخبائث ، وأدعو الله العليّ القدير ، أن يقينا شر الخبائث وسوء عاقبتها .

والله ولي التوفيق

دكتور

حسام البهنساوي

